يحررها:
خالد كساب
kh_kassab@yahoo.com

1

عيل صغير
لابس مريلة
زرايرها من ورا
شعره متسرح على جنب
ولسه عنده قلب
ومشكلة حياته
مش عارف يحفظ
جدول الضرب..
مش فاكر بعد كده
كل اللي حصل
حصل إزاي
أو امتى بالظبط..
كل اللي فاكره
إني يا دوبك
رمشت بعيني
فجأة..
بقيت دلوقت..

2

وفقاً لما تنص عليه
قوانين حياتي
الهرجلة..
باطلع من مشكلة..
أخش في مشكلة..
وحاجات كتير..
في دماغي..
متكومة ومتأجلة
وتفاصيل بالعبيط
كل ما بافهمها أكتر..
بتزيد البرجلة..

أنا

من كتاب «أنا راجل بفكر وحيد» صادر عن دار الشروق

THE DEAD LINE

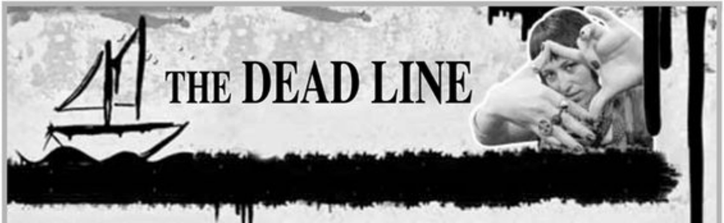

تلك هي مشكلة الحقيقة الحقيقية.. أنها مهما كانت حقيقة ومهما كنت تعتقد في مدى حقيقيتها.. إلا أنها في حقيقة الأمر ليست حقيقة.. لا توجد حقائق في ذلك العالم، تلك هي الحقيقة الوحيدة التي ينبغي علينا أن نستوعبها.. فقط يوجد ما نعتقد أنه حقيقة.. ويوجد ما يلزمنا أن نقنع أنفسنا بأنه حقيقي لكي نستطيع التعامل مع ما أخبرونا بأنها هي الحقائق في ذلك العالم.. منذ ١٥٠٠ سنة فقط كنا نعتقد أن الحقيقة هي أن الأرض رقعة ممتدة ومسطحة.. ومنذ ٥٠٠ سنة فقط كنا نعتقد أن الحقيقة هي أن الأرض مركز العالم وأن الشموس وباقي الكواكب هي التي يلتف حواليها.. الآن نعتقد أن الحقيقة هي أن العالم منقسم إلى مجرات وأن الأرض مجرد كوكب من ضمن عدة كواكب تدور حول الشمس التي تنتمي بدورها إلى مجرة من ضمن تلك المجرات التي يمتلئ بها الكون.. وغداً.. لا يعلم أحد الحقيقة التي سوف نعتقد أنها هي الحقيقة.. نحن فقط نعتقد.. لا نملك سوى أن نعتقد.. أما أن نجزم.. فهذا ما لا ينبغي علينا أن نفعله.. حيث أننا نحن أنفسنا قد نكتشف في نهاية الأمر أننا لسنا حقيقة.. وإنما محض اعتقاد!

لهذا.. اسمحوا لي أن أحاول محاولة نملة تؤمن أن بوسعها الحصول على حبة السكر التي واقعة على الرخامة التي في المطبخ والعودة بها إلى جحرها آمنة بدون أن تنهي حياتها نقطة مية مغلية قد تطرطش خارج كوب شاي يصبه شخص واقف في المطبخ.. لا تدركه النملة لكبر حجمه.. ولا يدرك هو النملة لصغر حجمها.. اسمحوا لي أن أحاول محاولة مثل تلك.. واسأل نفسي سؤالاً مثل هذا.. إيه الـdead line بتاع الحياة؟!

من المؤكد أنكم مثلي مستشعرين أنا عشان أجي أقولكم إن كل بني آدم أثناء أدائه لعمل ما يحتاج إلى معرفة الـdead line الخاص بإنهاء هذا العمل.. يحتاج إلى الارتكاز على معرفة زمن معين ينبغي عليه أن ينجز ما يود إنجازه فيه قبل أن يجيء هذا الزمن.. قد ينجز البني آدم منا العمل قبل الـdead line بفترة كبيرة.. وقد ينجزه قبل الـdead line بالظبط.. المهم أن هناك وقتاً محدداً يعلمه البني آدم منا ينبغي عليه فيه إنهاء عمل ما.. الطالب يعلم أن هناك dead line لإنهاء مذاكرته.. وهو وقت الامتحان.. والنجار يعلم أن هناك dead line لإنهاء الكنبة التي في إيده، وهو الوعد الذي اتفق عليه مع الزبون.. والصحفي يعلم أن هناك dead line لإنهاء الكتابة التي في إيده.. وهو وقت تقفيل الصفحات وشد الأفلام والذهاب إلى المطبعة.. والمقاول يعلم أن هناك dead line لإنهاء العمارة التي في إيده.. وهو الوعد الذي اتفق عليه مع الشركة التي تمتلك العمارة.. (هذا في حالة ما إذا كان السيد أحمد عز رأي آخر فيما يخص أسعار الحديد.. عندها قد يتأخر الـdead line شوية) الدكتور يعلم أن هناك dead line ينبغي عليه فيه قفل بطن العيان التي تنام قدامه وإنهاء العملية الجراحية.. كل بني آدم بحاجة إلى معرفة وقت محدد ينبغي عليه فيه أن يكون قد أتم العمل.

الشيء الوحيد الذي نفعله ونمارسه في كل لحظة نعيشها وفي كل فيمتو ثانية نحياها ولكننا مش عارفين الـdead line بتاعه.. هو فعل الحياة نفسه.. ولكي تتخيلوا الموضوع أكثر.. تخيلوا معي طالباً منهمكاً في المذاكرة طوال الوقت، وهو لا يعلم أدنى فكرة عن الفصل الذي ينبغي عليه أن يذاكره تبعاً له.. هل يقرأ الكتاب كله في البداية بسرعة.. حتى يستوعب الفكرة العامة الكاملة على أساس أن الـdead line قد يكون بعد ساعات.. أم يقسم فصول الكتاب على فترات زمنية، ويستوعب كل فصل جيداً قبل الانتقال إلى الفصل الذي بعده.. على أساس أن الـdead line قد يكون بعد شهور.. أم يتأخر أكثر في إعطاء المادة حقها من الفهم والاستيعاب، ويحاول تطبيق النظريات التي قرأها في المادة على حياته بشكل عملي.. وهنا طبعاً سوف يكون على أساس أن الـdead line قد يكون بعد سنوات.. ماذا يفعل الطالب في موقف معقد مثل هذا.. وفي حسبة صعبة مثل تلك.. وفي ورطة سودا زي الورطة التي هو واقع فيها.. والتي تتمثل في إنه بيذاكر آه.. بس مش عارف إيه الـdead line بتاع المذاكرة التي بيذاكرها؟!

«إذا عرف السبب بَطُل العجب».. الغريب والعجيب في هذا المثل أنه في تلك الحالة التي نحن بصدد التحدث عنها سوف ينبغي علينا أن نشقلبه رأساً على عقب.. ليصبح «إذا عرف السبب.. ازداد العجب».. ففي تلك الأمور التي تخص تجربة الحياة المقدسة.. كلما انجلى في عقل البني آدم منا كشفاً لسر من الأسرار.. وكلما نورت في روح البني آدم منا حتة من الحتت التي كانت مختفية.. كلما ازداد عجبنا أكثر.. وهل هناك عجباً أكثر من تلك الحقيقة الحياتية الكوميدية العجائبية المقدسة.. أنك كلما عرفت أكثر.. كلما شعرت بجهلك وعدم معرفتك أكثر وأكثر!

لذا.. دعونا نعود للنملة التي لا تزال تشق طريقها باتجاه حبة السكر الواقعة على رخامة المطبخ.. ولسؤالنا الرئيسي «إيه الـdead line بتاع الحياة؟!»

في إحدى حلقات برنامج (The Doctors) على MBC4 كانت الفقرة تناقش إجابة هذا السؤال.. «لماذا ينجز بعضنا العمل بشكل أفضل إذا كان واقعاً تحت ضغط معين له علاقة باقتراب الـdead line الذي ينبغي عليه إنهاء عمله فيه؟».

وتلك كانت هي إجابة هذا السؤال.. أن الجسم عندما يتوتر التوتر المصاحب لاقتراب الـdead line الخاص بإنهاء عمل ما يفرز مادة الأدرينالين التي تسرع بدورها من ضربات القلب.. وتسمح تلك المادة للدماغ بالولوج داخل منطقة زمنية أبطأ من الزمن الفعلي والحقيقي الذي نحياه.. وهذا هو السبب في شعورك أثناء وقت الخطر أن الوقت يمر بشكل أبطأ مما هو عليه (وأكم في أي وقت محتسب بدل ضائع على منتخبنا القومي في أي مباراة دولية خير مثال على ما أقول).. بينما تمر أوقات شعورك بالسعادة بشكل سريع وخاطف.. (وأكم في الـ٢٩ عاماً الماضية خير مثال على ما أقول).. هذا الشعور ببطء الزمن يفسح المجال أمام خلايا التركيز في المخ لتعمل بقوة أكبر.. وهذا هو شعور طالب في ليلة الامتحان لم يستعد جيداً على مدار السنة الدراسية.. إلا أن ذلك الطالب في تلك الليلة القصيرة والكثيفة يمكنه إنجاز ما أنجزه طالب آخر في أسبوع مثلاً.. حيث إن شعوره باقتراب وقت الامتحان قد يجعله أكثر توتراً أي نعم.. ولكنه أيضاً سوف يجعله أكثر تركيزاً!

وقاموا لإثبات ذلك بتجربة عملية على فتاتين جلست.. كل فتاة في حجرة وحدها.. فتاة منهم جاءها صوت دافئ وعذب عبر سماعات في الحجرة يخبرها بأنها أمامها الوقت الكافي لحل تلك اللعبة الحسابية.. استمري في طرح رقم ٧ من رقم ١٠٠ وانطقيهم تباعاً.. يعني (١٠٠ ـ ٩٣ ـ ٨٦ ـ وهكذا) وأخبرها الصوت المنبعث من السماعة بضرورة الاسترخاء الكامل.. واتبعوا ذلك بتشغيل موسيقى كلاسيك هادئة لتساعدها على الاسترخاء والإجابة بدون تحديد وقت محدد لها لتجيب خلاله.. الفتاة الأخرى.. دخلت عليها حجرتها سيدة متجهمة وصارمة.. جلست أمامها ووضعت وجهها في وجهها.. وأخبرتها بجفاء أن أمامها ٦٠ ثانية فقط لحل نفس اللعبة الحسابية، وأخبرتها أيضاً أن التجربة مسجلة عبر كاميرا في الغرفة، وأنها سوف تذاع في البرنامج أمام الشعب الأمريكي بأسره.. وبدأ العداد يعد.. وبدأت الفتاتان التجربة العملية.. الفتاة المتوترة الواقعة تحت ضغط توتير السيدة المتجهمة لها بالإضافة إلى ضغط الـdead line الذي يقترب كانت في قمة تركيزها وانهمرت الأرقام منها تباعاً ١٠٠ ـ ٩٣ ـ ٨٦ ـ ٧٩.. حتى انتهت في ٤٤ ثانية فقط.. أي قبل ١٦ ثانية من الـdead line.

الفتاة الأخرى المسترخية والمستريحة نفسياً، والتي لم يخبرها أحد بأي dead line من أي نوع.. توترت أكثر من الفتاة الأخرى.. ولم تستطع بالرغم من توفير كل عناصر الراحة لها نطق الأرقام الصحيحة.. إلى هنا انتهت فقرة البرنامج.. يمكننا الآن أن نعاود القفز إلى رخامة المطبخ، حيث نملتنا الثائرة قد حصلت بالفعل على حبة السكر.. وبذلت مجهوداً لكي تستطيع تحميلها على ظهرها.. واستدارت في طريق عودتها.. بينما الشخص الممسك بالبراد في يده بدأ في صب الشاي في الكوب الذي تعبر بجواره النملة.. هل تطرطش نقطة مية مغلية على النملة لتنهي حياتها في لحظة.. أم تستطيع العودة بحبة السكر آمنة سالمة غانمة إلى جحرها الدافئ في الحائط؟! هذا ما لا يمكننا التكهن به.. حيث أنه لا النملة تدرك ما يفعله الشخص الذي يصب الشاي.. ولا الشخص الذي يصب الشاي يرى النملة من أساسه.. لهذا.. جميع الاحتمالات واردة!

يا لصعوبة تجربة الحياة.. التي يشبه البني آدم منا فيها البنت التي ما تعرفش الـdead line بتاع إجابة السؤال.. ولكنه.. لكي يستطيع إنجاز أي شيء في تلك الحياة.. ينبغي عليه أن يقنع نفسه طوال الوقت أنه أشبه بالفتاة الأخرى.. التي تعرف أن الـdead line بتاعها.. بعد ٦٠ ثانية فقط!

كساب

photo by.. Moufida Fedhila